مقالة سفيد

مواقف أبي‌طالب عليه السلام العقائدية قبل البعثة النبوية الشريفة

علي جبّار البهادلي[1]

الملخّص

اذا تصفحنا التاريخ الاسلامي وجدنا مواقف عديدة لأبي‌طالب عم النبي الكريم صلى الله عليه وآله. مواقف تنمّ عن عقيدة وإيمان صادق بالله عزّوجل بعيدة عن أيّ لون من ألوان الشرك وقد تمثلت تلك المواقف في حقّبتين من حياة شيخ البطحاء وناصر الرسول مرحلة ما قبل البعثة، والأخرى من بعد البعثة النبويّة وبزوغ فجر الاسلام اذ وجد نفسه أمام المجتمع القرشي الذي اراد ان يقضي على الرسالة المحمّدية، الا ان ابا طالب بدعمه للرسول الاعظم محمّد صلى الله عليه وآله شكل منعطفاً هاما في عصره وذلك باتخاذ مواقف تاريخية لنصرة الدين الاسلامي في مجتمع كان يشرك بالله العظيم بحميته الجاهلية وبقيادة رؤوس الشرك الذين كانوا يجثمون على صدر الانسانية.

الكلمات المفتاحية

أبو طالب عليه السلام، شيبة الحمد، البعثة النبويّة، النبيّ

المقدّمة

لقد شغلت شخصيّة أبي‌طالب عليه السلام المخالفَ قبل المؤالف والمحبّ، كما أنّها شغلت الباحثين والكتّاب والمحقّقين؛ إذ حاول كلّ واحد منهم أن يصوّب سهم المعرفة إلى عمق الحقّيقة المعيّنة في بطون التاريخ؛ لكي يثبت أحدهم إيمانه والآخر كفره.

وأمّا أنا فقد شغلني وبهرني ما تتمتّع به هذه الشخصيّة الفذّة من عمق الإيمان وصلبه، عن إتيان ثنائيّة البحث المقتضية بين كفره وإيمانه، فاخترت أن يكون المقال تدقيقاً في عمق الإيمان الذي يتمتع به ابوطالب عليه السلام والذي تصرخ به تلك المواقف الّتي انطوت عليها هذه الشخصيّة العظيمة.

١. باحث في الدراسات الإسلامية AliBahadoli١٩٧٢@gmail.com.

فهل كانت مواقف أبي‌طالب عليه السلام عقائديّة أم عاطفيّة؟ وما هي حقّيقة وطبيعة البيئة الّتي نشأ وترعرع فيها أبي‌طالب عليه السلام؟ وهل صدرت من أبي‌طالب عليه السلام أثناء حياته في تلك البيئة مواقف إيجابيّة أو سلبيّة؟ وكيف كانت معاملته ومعرفته للنبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله قبل بعثته؟ وهل كانت له مواقف خاصّة اتجاه النبي صلى الله عليه وآله أو تجاه رسالته تستحقّ الذكر بعد علمه ببعثته؟ وكيف يمكننا أن نفسّر هذه المواقف والأقوال الّتي صدرت عن أبي‌طالب تجاه النبيّ ودعوته؟ وكيف يتسنّى لنا درء بعض الإشكّالات والشبهات المطروحة حول إيمان أبي‌طالب وموقف النبي صلى الله عليه وآله إزائه؟

ولا يخفى لما لموضوع المقال من الأهميّة الكبيرة في باب المسائل الاعتقادية الّتي يؤمن بها مذهب أهل البيت عليهم السلام خصوصاً فيما يرتبط بمقام الأئمّة الأطهار عليهم السلام الذين يجب أن يتمعتوا بخصائص لا يتمتع بها غيرهم من سائر آحاد الأمّة. ومن أهمّها مسألة الطهارة الواجبة للعصمة الّتي يشترط توفّرها في الإمام المفروض الطاعة في نظر الإماميّة مضافاً إلى أنّ مسألة الآباء مسألة مهمّة في تحقّق هذه المسالة. وهذه تستوجب أن يكون ابوطالب عليه السلام رجل الإيمان لأنّه أبٌ للإمام علي عليه السلام ولكن الذي حصل أنّ الإمام علي عليه السلام حُورب بمختلف الوسائل لأجل إبعاد الأمّة عنه، فهناك أيادي سياسيّة كانت وراء كتابة تاريخ الأمّة الإسلاميّة الحافل بموضوعات شتّى، كان الكثير منها ذا أثر بالغ في ترسيخ العقائد الصحيحة، حتّى أنّها ساهمت بدور كبير في تزييف الحقّائق وقلبها. فالإمام علي عليه السلام الذي كان يوماً خليفةً للمسلمين برضا وبيعة الجميع له، أضحى يُسَبُّ على منابر المسلمين، فكيف والحال هذه نطلب إثبات إيمان أبي‌طالب من هذه الأقلام المأجورة، ولكن بالرغم من جميع هذا بقيت سيرته قبل وبعد الإسلام يفوح منها عطر التوحيد والإيمان بنبوّة النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله كما سنوضّح ذلك في هذا المقال.

التمهيد

إنّ الغرض الأساس من هذا البحث أو المقالة، هو إثبات أنّ مواقف أبي‌طالب عليه السلام كانت تنمّ عن عقيدة وإيمان صادق بالله تعالى، دونما يخالطها أيّ لون من ألوان العبادة الشركيّة والوثنيّة. وبما أنّ حياة أبي‌طالب عليه السلام قد توزّعت على حقّبتين ومرحلتين من الزمن، مرحلة ما قبل البعثة، والأخرى من بعد البعثة النبويّة، الّتي أوجدت تغيّراً جذريّاً حينما بزغ نور الإيمان والدعوة إلى التوحيد والتصديق بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله في وسط المجتمع القرشي، يدعو الناس جميعاً إلى تلك الرسالة الإسلاميّة. وقد شكّلت هذه المرحلة منعطفاً جديداً في حياة أبي طالب، إذ كان له فيها دور المحامي المدافع الكبير عن نبيّ الرحمة وصاحب هذه الدعوة.

فكان مقالنا يتمحور على ما اسلفنا من مواقفه، وفيه مباحث ثلاثة:

- المبحث الأول: السيّرة الذاتية لأبي‌طالب عليه السلام.
- المبحث الثاني: عقيدة أبي‌طالب عليه السلام قبل البعثة.
- المبحث الثالث: مواقف أبي‌طالب عليه السلام قبل البعثة.

المبحث الأول: السيرة الذاتية لأبي‌طالب عليه السلام

١. شخصيّة أبي‌طالب عليه السلام

تميّزت وبانت شخصيّة أبي‌طالب عليه السلام بشكل ملحوظ في مكّة المكرمة عموماً، وفي قريش على وجه الخصوص، من خلال سيرته في قومه، ومن خلال أفعاله وأقواله. فهو سيّد قريش وكبيرهم ذو الشرف العظيم، كثير المناقب غزير الفضائل، عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء متقدّماً في قومه وعشيرته، وكان ممّن تجب طاعته عندهم، ويطاع أمره فيهم وعليهم، وهو شيبة بني هاشم، وسيّد الحجاز، وزعيم القوم بعد أبيه، وورث السقاية والرفادة.

وجاء في كتاب مجمع الأمثال قول أبي الفضل النيسابوري قوله:

حكّام قريش، عبدالمطلب وأبو طالب والعاص بن وائل.[٢]

وقيل لتأبط شرّاً الشاعر[٣]:

من سيّد العرب؟

فقال:

أخبركم سيّد العرب ابوطالب بن عبدالمطلب.[٤]

فكان الشخصيّة الأولى، الّتي تحفل بكلّ مقوّمات الزعيم بعد أبيه، وانتهج منهجه بعد وفاته، وورث منه ملامحه وخصائصه، فقام بواجبه في سقاية الحاج، فهو المعطاء بغير منّة، والوصل للرحم، ذو العقل الراجح، والنظر البعيد، وله بالتشريع دراية، وقد حرّم الخمر على نفسه قبل أن يحرّمها القرآن الكريم.

٢. مجمع الأمثال، ج١، ص٣٩.

٣. هو ثابت بن جابر، من شعراء الجاهليّة الصعاليك كان كثير الغارات على الأحياء، سريع العدو إذا خرج للغزو، أخذ سيفه تحت إبطه، فقالت أمّه مرّة، تأبط شراً فغلب اللقب عليه، أمتاز شعرة بدقة الوصف و قوّة الملاحظة، له أشعار متفرّقة في كتب الأدب، قتل في احدي غاراته. (المنجد في الأعلام، ص١٦٥)

٤. بحار الأنور، ج٣٤، ص١٣٤.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي:

وكان سيّد المحصورين في الشعب ورئيسهم وشيخهم، ابوطالب بن عبدالمطلب، وهو الكافي والمحامي.[٥]

وتميّزت شخصيّة أبي‌طالب عليه السلام كذلك بالعلم والمعرفة بالأنبياء والأمم السابقة، كما تجلّى ذلك من خلال شعره الذي تميّز بالصفاء والنصح لقومه وللناس بصورة عامّة.

فالمرء يعرف من خلال أفعاله تارة، ومن خلال أقواله تارةً أخرى، وكما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: المرء مخبوء تحت لسانه[٦].

وقال الشاعر:

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلّم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاد فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[٧]

وعند التصفّح لسيرة أبي‌طالب عليه السلام، نجدها تطفح بكلّ معاني الصفاء والعقيدة الصادقة بالتوحيد، وحبّ الأخلاق والدعوة إلى الصلاح والخير. كلّ ذلك وغيرها من مكارم الأخلاق، تطفح بها قريحة أبي طالب.

سُئل الأكثمَ بن صيفي التميمي، ممّن تعلّمت الحكمة والرئاسة والحلم والسيادة فقال:

من حليف الحلم والأدب، سيّد العجم والعرب، أبي‌طالب بن عبدالمطلب.[٨]

وإنّك لتجد عظمة هذه الشخصيّة تتجلّى بشكل واضح، عندما تلتجئ إليه قريش كلّما أصابها قحط أو شدّة.

والشاهد على ذلك حين أقحط الوادي، وجفَّ الماء عن مكّة وحواليها واحتارت قريش في أمرها، وقال ورقة بن نوفل[٩]:

٥. شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص٦٥.
٦. شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٣٥٣.
٧. شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٣٥٢.
٨. بحار الأنور، ج٣٤، ص١٣٤.
٩. من حكماء الجاهليّة، ابن عمّ خديجة الكبرى عليها السلام، أولى أزواج الرسول صلى الله عليه وآله وكان نصرانيّاً. (المنجد في الأعلام، ص٦١١)

يا معشر قريش! أين تذهبون وأنّى تؤفكون، فيكم بقيّة إبراهيم وسلالة إسماعيل ابوطالب، فاستسقوه فخرج ابوطالب وحوله أُغيلمة من بني عبدالمطلب وسطهم غلام كأنّه شمس دجنة، تجلّت عنها غمامة فأسند ظهره إلى الكعبة ولاذ بأصبعه وبصيصة الأغلمة حوله، فأقبل السحاب في الحال فأنشأ ابوالطالب اللامية.[١٠]

وقال الزبير:

كان ابوطالب يحضر أيام الفجار، ويحضر معه النبيﷺ وهو غلام، فإذا جاء ابوطالب هُزمت قيس، وإذا لم يجئ هُزمت كنانة، فقالوا لأبي طالب: لا أباً لك! لا تغب عنّا، ففعل.

وقال وأيضاً كذلك:

فكان سيّد بني هاشم في زمانه، ولم يكن أحد من قريش يسود في الجاهليّة بمال، إلاّ ابوطالب وعتبة بن ربيعة.[١١]

وتظهر شخصيّة ومكانة أبي‌طالب بشكل أوضح على لسان أهل البيتعليهم السلام وسوف نكتفي بذكر هذا الخبر الذي يبيّن منزلة أبي‌طالب عند الله عزّوجل وعند أهل البيتعليهم السلام.

عن الإمام الصادقعليه السلام عن آبائهعليهم السلام:

إنّ أمير المؤمنينعليه السلام كان جالساً في الرحبة والناس حوله، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذّب في النار، فقالعليه السلام: مه، فضّ الله فاك، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أبي يعذّب في النار وابنه قسيم الجنّة والنار؟ والذي بعث محمّداً بالحقّ، إنّ نور أبي‌طالب ليطفئ أنوار الخلائق إلاّ خمسة أنوار: نور محمّدﷺ ونور فاطمة، ونور الحسن، ونور الحسين، ونور ولده من الأئمّة، إلاّ أنّ نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام.[١٢]

١٠. مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١١٩.

١١. شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٢٢٠.

١٢. بحار الأنور، ج٣٥، ص٦٩، ح٣.

۲. نسبه الشريف

نسب أبي‌طالب‌عليه‌السلام غنيّ عن التعريف، وهو لشدّة وضوحه وسابق معرفته؛ إذ يكفي فيه أنّ نسبه الشريف هو نسب الرسول الأعظم.

فهو ابوطالب‌عليه‌السلام وإسمه عبد مناف[۱۳] بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[۱٤] بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن فزار بن معد بن عدنان.[۱۵]

ولبني عبد مناف في قريش، النسب الصميم والحسب الكريم، و إلى هذا أشار ابوطالب‌عليه‌السلام بقوله:

إذا افتخرت(اجتمعت) يوماً قريش لمفخرٍ فعبد مناف أصلها وصميمها
فإن خُصلّتْ أشراف عبد منافها ففي هاشم اشرافها وقديمها
وإن فخـرت يومـــــاً فإن محمّدا هو المصطفى من سرّها وكريمها[۱٦]

۳. اسمه

لقد اختلفوا في اسم أبي‌طالب‌عليه‌السلام، فمنهم من رأى أنّ اسمُه عمران، ومنهم من قال اسمه عبد مناف، وهو الصحيح. كما يذهب إليه صاحب السيرة النبويّة بقوله:

وأبو طالب، واسمه عبد مناف لا عمران.[۱۷]

وصاحب الزوائد الهيثمي بقوله:

إنَّ أبا طالب اسمه عبد مناف.[۱۸]

وهذا الاسم هو الذي نطقت به وصيّة عبدالمطلب لأبي‌طالب بقوله:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بموحّدٍ بعد أبيه فـــــرد

وقال أيضاً:

وصيت من كنيته بطالب عبد منافٍ وهو ذو تجاربٍ
بابن الحبيب أكرم الأقارب يا بن الذي قد غاب غير ائب[۱۹]

۱۳. الثقات، ج۲، ص۱۳۵؛ مجمع الزوائد، ج۹، ص۱۰.
۱٤. المعجم الكبير، ج۱، ص۹۲.
۱۵. دلائل الإمامة، ص۱٦۲.
۱٦. السيرة النبويّة، ج۱، ص۲۸۸.
۱۷. السيرة النبويّة لابن كثير، ج۱، ص۱۰۲.
۱۸. مجمع الزوائد، ج۹، ص۱۰۰.
۱۹. مناقب آل أبي طالب، ج۱، ص۳٤.

٤. ألقابه

وألقابه كثيرة، منها: رئيس مكّة، وسيّد البطحاء، وشيخ قريش، وبيضة البلد، وشيخ بالأبطح، ومؤمن قريش.

وكنيته ابوطالب عليه السلام وأشتهر بها دون ألقابه جميعاً.

وأبو طالب عليه السلام هو الأخ الشقيق لعبد الله، والد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والزبير وأمّهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. وينقل بقوله كذلك، وحدثت عن هشام بن محمّد عن أبيه أنّه قال:

> عبد الله بن عبدالمطلب، ابورسول الله صلى الله عليه وآله وأبو طالب، واسمه عبد مناف والزبير وعبد الكعبة وعاتكة وبرة وأميمة، ولد عبدالمطلب إخوةٌ، أمّ جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.[٢٠]

٥. ولادته ونشأته

في بيت الإيمان والجلالة والشهامة والفداء، ولد سيّد البطحاء في سنة خمس وثلاثين قبل ولادة النبيّ في مكّة المكرمة.[٢١]

ولد من أب هاشمي، وهاشم سادة قريش. ألا وهو عبدالمطلب شيبة الحمد ومن أمٍّ مخزوميّة ريحانة قريش. ألا وهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزوميّة.

يفتح ابوطالب عليه السلام عينيه على الحياة، فيرى والده من أولئك الأحناف القليلين الذين حافظوا على حنيفيّتهم وانتسابهم لأبيهم إسماعيل، ومن الذين سنّو سنناً أقرّها الإسلام فيما بعد، فيتعلّم كلّ معاني التوحيد والأخلاق من أبيه العظيم شيبة الحمد عبدالمطلب. كما يرى بأمّ عينيه تلك المواقف التوحيديّة، والدعوات المستجابة لأبيه، والتدّخل الإلهي الملموس الذي شملهم في ظلّ حياته.

٦. زوجته

تزوّج ابوطالب عليه السلام في حياة أبيه عبدالمطلب بفاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ابنة عمه (وهي أول هاشميّة ولدت من هاشمي)[٢٢] وأبو طالب عليه السلام هو أول هاشمي تزوّج بهاشميّة. ويكفيها شرفاً أن انشقّ لها جدار الكعبة، وولدت ابنها الذي بشّرها ابوطالب به قبل ذلك بسنين.

---

٢٠. تاريخ الطبري، ج٢، ص٢.

٢١. منية الراغب في إيمان أبي طالب، ص٥.

٢٢. مستدرك الحاكم، ج٣، ص١٠٨.

٧. أولاده

كان لأبي‌طالب عليه السلام أربعة أولاد من الذكور، أكبرهم طالب وهو أسنُّ من عقيل بعشر سنين، وعقيل أسنّ من جعفر بعشر سنين، وعليّ عليه السلام أصغرهم، وجعفر أسنّ منه بعشر سنين.

ومن الإناث اثنتان، الأولى: أم هانئ، كنّيت باسم ابنها، واسمها فاختة وقيل: عاتكة وقيل: فاطمة وقيل: هند والأخرى: جمانة، أمّهم فاطمة بنت أسد بن هاشم (رضى‌الله‌تعالى‌عنها).[٢٣] يقول صاحب كتاب الطبقات الكبرى:

> تزوّجها [يعني فاطمة بنت أسد] ابوطالب بن عبدالمطلب بن هاشم، فولدت له عليّاً وجعفراً وعقيلاً وهو أسنّهم وأمّ هانئ وجمانة وريطة بنت أبي‌طالب عليه السلام.[٢٤]

وبعد هذه الجولة المثيرة في أحوال أبي‌طالب عليه السلام، نتعرّض إلى بعض مواقفه قبل البعثة النبويّة الشريفة.

المبحث الثاني: عقيدة أبي‌طالب عليه السلام قبل البعثة

١. عقيدته وموقفه من الحنيفيّة

لو تتبعنا بشكل دقيق وبعين الأنصاف وبعيداً عن التعصّب والحقد في سيرة هذا الرجل، فإنا نجد بأنّه كان موحّداً عارفاً بالله تعالى قبل بعثة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأنَّهُ الخَلَف بعد أبيه عبدالمطلب بالحنيفيّة وبالحفاظ على خاتم الأنبياء. ولكن قبل الخوض في بيان عقيدة أبي‌طالب رأينا أن نبيّن معنى الحنيفيّة ومن هم الأحناف؟ باختصار وبشكل مقتضب.

٢. بيان الحنيفية

إنّ الغرض من طرح هذا الموضوع، هو لبيان أنّه هناك موحّدون بقوا على الفطرة وحافظوا عليها وكانوا بذلك يمثّلون الامتداد لحنيفيّة إبراهيم. فكان لابدّ من الوقوف على كلمة الحنيفيّة وبيان معناها اللغوي والاصطلاحي.

١/٢. الحنيفية لغة

الحُنفاء: جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم، وأصل الحنف الميل.[٢٥]

---

٢٣. سبل الهدي والرشاد، ج١١، ص٨٤.

٢٤. الطبقات الكبرى، ج٨، ص٥١.

٢٥. النهاية في غريب الحديث، ج١، ص٤٣٤.

قال ابن‌منظور في لسان العرب:

الحنفاء: جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه. وفي الحديث: بعثت بالحنيفيّة السمحة السهلة.[٢٦]

وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط في كلمة الحنفاء:

والمراد به الكامل الإسلام الناسك المائل إلى الدين.[٢٧]

٢/٢. الحنيفية اصطلاحاً

والحنيف: المسلم الذي يستقبل قبلة البيت الحرام، على ملّة إبراهيم وكان حنيفاً مسلماً، وقال بعضهم: الحنيف كلّ من أسلم في أمر الله ولم يتلو في شيء والجمع حُنفاء. قيل الحنيف لأنّه تحنّف عن الأديان كلّها: أي مال إلى الحقّ وفي الحديث:

أحبُّ الأديان إلى الله الحنيفيّة السمحة وهي ملّة إبراهيم، لا حرج فيها، ولا ضيق.

وأصل الباب الحنف، وهو الميل.[٢٨]

٣/٢. الحنيفية في اصطلاح القرآن

إذا رجعنا إلى بعض التفاسير الّتي ذكرت آنفاً والّتي نذكرها تبعاً، نجد أنّ الحنيفيّة تعني الإسلام، كما جاء في تفسير هذه الآية:

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.[٢٩]

قيل:

إنّ اليهود والنصارى كما كانوا يدّعون أنّ إبراهيم منهم وعلى دينهم. كذلك عرب الجاهليّة من الوثنيّة كانت تدّعي أنّهم على الدين الحنيف، دين إبراهيم حتّى كان أهل الكتاب يسمّونهم الحنفاء

٢٦. لسان العرب، ج٩، ص٥٨.

٢٧. القاموس المحيط، ج١، ص٢٥؛ تاج العروس من جواهر القاموس، ج١، ص٣٣.

٢٨. التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص٤٨٠.

٢٩. آل عمران، ٦٧ـ٦٨.

ويدعون بالحنيفيّة الوثنيّة. ولما وصف الله سبحانه إبراهيم بقوله: «وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً»، وجب بيانه حتّى لا يتوهّم منهُ الوثنيّة، فلذلك أردفه بقوله: «مُسْلِماً»، وما كان من المشركين، كعرب الجاهليّة. وقوله تعالى: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النبيّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ... الآية»[٣٠]، جاء في موضع التعليل للكلام السابق وبيان للحقّ في المقام والمعنى والله العالم.[٣١]

إذن تبيّن بأنّ الحنيفيّة تتّفق مع الإسلام؛ لأنّ هدفها هو الميل إلى الحقّ الذي يدعو إليه الإسلام، كما في قوله تعالى:

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ممّن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ ملّة إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً.[٣٢]

وآيات أخرى كما هو معنى الآيتين المتقدّمتين.

٣. أبو طالب عليه السلام من الأحناف ومن الموحدين

إنّ الأدلّة والشواهد كما جاءت في بعض الأخبار تدلّ على أنّ أبا طالب كان موحّداً على الحنيفيّة ولم يُشرك بعبادة ربّه أحداً، كما جاء في الأخبار:

لم يعبد صنماً قطُّ، بل كان من أوصياء إبراهيم.[٣٣]

ونجد هذا المعنى واضحاً، من خلال مواقفه قبل البعثة، بأنّه موحّد على دين إبراهيم وأبيه عبدالمطلب، إذ أنَّ عبدالمطلب لم يختر لكفالة الرسول من أولاده إلاّ أبا طالب، وهذا الاختيار ليس اعتباطاً، بل عن دراسة مسبقة لمعرفة الأب بأحوال أولاده أكثر من غيره و صاحب الدار أدرى بما فيها. فقضيّة كفالة الرسول الأعظم عند عبدالمطلب، تعتبر من أهمّ القضايا والأمور، بعد أن عرف أبوه نهج وعقيدة ولده أبي‌طالب عليه السلام بالتوحيد وإخلاصه لربِّ السماء، خصّه دون غيرة بهذه المهمّة الإلهيّة الكبرى قبل وفاته. فأوصى إليه بقوله:

---

٣٠. آل عمران، ٦٨.

٣١. تفسير الميزان، ج٣، ص٢٥٣.

٣٢. النساء، ١٢٥.

٣٣. بحار الأنور، ج١٧، ص١٤٢؛ الغدير، ج٧، ص٣٨٥.

يا بني أوصيك بعدي بقُرّة عيني، أنت تعلم محلّه منّي ومقامه لدي، فأكرمه بأجلّ الكرامة ويكون عندك ليله ونهاره. يا أبا طالب إن أدركت أيّامه، فاعلم أنّي كنت من أبصر الناس وأعلم الناس به، فإن استطعت أن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك. فإنّه والله سيسودكم.[٣٤]

وقد جسّد الوصيّة بالفعل وأدّاها بعقيدةٍ صادقةٍ، بنصرته الرسولﷺ بكلّ ما يملك من قوّة ومالٍ وجاهٍ وسيادةٍ اجتماعيّة. ولم نر ذلك إلاّ بدافع التوحيد بالله تعالى، الذي كان عليه ابوطالب شيخ البطحاءعليه السلام والذي سنثبتهُ بالأدلّة والبراهين الآتية.

وما تظهره خطبته حينما تقدّم لطلب يد خديجة بنت خويلد، لابن أخيه الأكرم محمّدﷺ حيث طفحت الكلمات التوحيد الحنفي الصادق وقد كان ذلك قبل البعثة بخمسة عشر سنة كما يرويها المؤرّخون، حيث جاء فيها قوله:

الحمد لربّ البيت ... الخ.

كما تظهر حنيفيّته وتوحيده من خلال كلامه، عندما طلب يد خديجة بنت خويلد لرسول اللهﷺ حيث قال مصرّحاً بالسلالة الممتدّة في جذريتها إلى السماء:

الحمد لربّ البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذريّة إسماعيل وأنزلنا حرماً أمناً وجعلنا الحكام على الناس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه. ثمَّ إن ابن‌أخي هذا ـ يعني رسول اللهﷺ ـ ممّن لا يوزن برجل من قريش إلاّ رجح به ولا يُقاس به رجل إلاّ عظم عنه ولا عدل له في الخلق وإن كان مقلّاً في المال. فإنّ المال رفدُ جارٍ وظلٌ زائل وله في خديجة رغبة وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها، وله ـ ورب هذا البيت ـ حظٌ عظيم ودينٌ شائع ورأي كامل.[٣٥]

نلاحظ أنّ كلمات أبي‌طالب طافحةٌ بالتوحيد عندما ينتسب لإبراهيم و إسماعيل وأنّهم من خدمة بيت الله عزّوجل، فكانوا عنصراً ممتدّاً للحنيفيّة البيضاء ولم تدنسهم الوثنيّة المنحطّة؛ فضلاً عن كونها تظهر مكانة النبيّ الأكرم محمّدﷺ العظمى على الناس، وهذا لا يكون إلاّ لمعرفة وعقيدة أبي‌طالبعليه السلام بالتوحيد، بل وفي نبوّة الرسول.

٣٤. كمال الدين وتمام النعمة، ص١٧٢؛ بحار الأنور، ج١٥، ص١٤٣.

٣٥. عوالي اللئالي العزيزية، ج٣، ص٢٩٨؛ مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣٩.

المبحث الثالث: مواقف أبي‌طالب عليه السلام قبل البعثة

١. موقف أبي‌طالب عليه السلام تجاه السنن الّتي تحيط به

بإمكاننا أن نثبت عقيدة أبي‌طالب عليه السلام في التوحيد من خلال سيرته في قومه، إذ أنّه كان حاكماً دينيّاً في قريش، كما أظهرت كلمته الّتي جاءت في خطبته عندما خطب خديجة لرسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال فيها:

وجعلنا الحكّام على الناس.[٣٦]

فكان كأبيه لم يعبد صنماً قطّ، كما أنّ السنن الّتي حافظ عليها وأمر بها، هي الأخرى تشهد له على ذلك. بل نجد بعض أغلب السنن الّتي أجراها ابوطالب عليه السلام، قد أقرّها الإسلام فيما بعد، والّتي كانت موجودة في حنيفيّة إبراهيم عليه السلام، وأمر بها ابوطالب عليه السلام قومه، ونذكر منها ما يلي:

- الوفاء بالنذور.
- قطع يد السارق.
- منع نكاح المحارم.
- تحريم الخمر.
- منع الطواف العاري.
- مائة من الإبل في الديّة.

يقول اليعقوبي في تاريخه:

وصارت الديّة من الإبل على ما سنّ عبدالمطلب.[٣٧]

- الطواف سبعة.

قال صاحب مستدرك سفينة البحار:

إنّه لم يكن للطواف عدد عند قريش، فسنّ فيهم عبدالمطلب سبعة أشوط، فأجرى الله ذلك في الإسلام.[٣٨]

- والقسامة.[٣٩]

قال الزبير:

أبو طالب أول من سنّ القسامة في الجاهليّة في دم عمرو بن علقمة، ثمّ أثبتتها السّنة في الإسلام.[٤٠]

---

٣٦. مناقب آل أبي طالب، ج١، ٣٩.

٣٧. تاريخ اليعقوبي، ج١، ص٢٥٢.

٣٨. مستدرك سفينة البحار، ج٢، ص١٩٧.

٣٩. القسامة بالفتح وهي الإيمان، تقسيم على أولياء القتيل إذا أدعوا الدم. (مجمع البحرين، ج٣، ص٥٠٤)

٤٠. شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٢١٩.

٢. موقف أبي‌طالب تجاه التوحيد

وهناك مواقف لأبي‌طالب عليه السلام جديرةٌ بالاهتمام تجاه التوحيد وما يدلّ على عقيدته الحقّة.

عن العبّاس بن عبدالمطلب عمّ النبيّ قال:

لما ولدت فاطمة بنت أسد عليا في بيت الله الحرام، سمّته باسم أبيها أسد، فلم يرض ابوطالب بهذا الاسم، فقال (لها) هلمّ حتّى نعلوا أبا قبيس[٤١] ليلاً وندعوا خالق الخضراء فلعلّهُ أن يُنبئنا في اسمه. فلمّا أمسيا، خرجا وصعدا أبا قبيس ودعيا الله تعالى، فأنشأ ابوطالب عليه السلام يقول:

يا ربّ هذا الغسق الدجي والفلق المبتلج المضي
بيّن لنا عـن أمــرك المقضي بمـا نسمّـــي ذلك الصبـي

فإذا خشخشة من السماء، فرفع ابوطالب طرفه، فإذا لوح مثل الزبرجد الأخضر فيه أربعة أسطر، فأخذه بكلتا يديه وضمّهُ إلى صدره ضمّاً شديداً، فإذا مكتوب (فيه):

خصُصتما بالولد الزكي والطاهر المنتجب الرضي
واسمه مـن قاهــرٍ علـــي علي أُشتـــقّ مـــن العلي

فسَّر ابوطالب سروراً عظيماً وخرَّ ساجداً لله تبارك وتعالى وعقّ بعشرة من الإبل وكان اللوح معلّقاً في بيت الله الحرام يفتخر به بنو هاشم على قريش، حتّى غاب زمان قتال الحجاج لابن الزبير.[٤٢]

وقد نقل الأبيات الكنجي الشافعي محمّد بن يوسف بن محمّد في كتابه[٤٣] وفيها اختلاف في بعض الكلمات. وهذا نصّ ألفاظه:

يا ربّ هذا الغسق الدجي والقمر المنبلج المضي
بيّن لنا مـن أمرك الخفـــي ماذا تـرى فـي اسم ذا الصبي

قال:

فسمع صوتاً هاتفاً يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبيّ خصصتم بالولد الزكي
إنّ اسمه مـــن شامخ علي علي اشتـقّ مـــن العلي[٤٤]

٤١. قال أبو المنذر هشام: أبو قبيس الجبل الذي بمكّة، كناه آدم. (معجم البلدان، ج١ص٨٠)

٤٢. ينابيع المودة لذي القربى، ج٢، ص٣٠٦.

٤٣. كفاية الطالب، ص٢٦٠.

٤٤. أبو طالب حامي الرسول وناصره، ص٦.

وما يدلّ على توحيده كذلك خطبته الّتي خطبها عندما أراد الزواج بفاطمة بنت أسد:

الحمد لله ربّ العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً وسدنةً وعرفاء وخلصاء وحجيتةً بهاليل، أطهاراً من الخنا والريب والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر وفضّلنا على العشاير، نخب آل إبراهيم وصفوته وزرع إسماعيل.[٤٥]

٣. مواقف أبي‌طالب تجاه النبيّ ﷺ

ينقل لنا التاريخ جملة من المواقف لشيخ البطحاء تجاه النبيّ الأعظم ﷺ وأنّها لا تفسر إلاّ بالعقيدة الصادقة، الّتي يمتلكها وأنّها لم تأتِ من فراغ، بل من توحيد خالص لله تعالى.

١/٣. كفالة أبي‌طالب عليه السلام لرسول الله ﷺ

ارتحل شيبة الحمد عن الدنيا في الثامنة من عمر الرسول ﷺ بعد أن اختار واصطفى له أبا طالب ليكفله ويقوم بشؤونه ويحرص على حياته. مع أنّ أبا طالب لم يكن أكبر ولده سنّاً ولا أكثرهم مالاً ولكن عبدالمطلب وكما يُقال «صاحب الدار أدرى بما فيها» كان يرى في ابنه أبي‌طالب عليه السلام، الذي امتلك بالوارثة جميع مناقبه اللائقة وصفاته الرفيعة وخصاله الجليلة والجدارة والكفاية لكفالة يتيم بني هاشم ولحمل هذه الأمانة السماويّة.

وعلى كلّ حال، فقد عهد شيبة الحمد إلى شيخ البطحاء، مهمّة كفالة الرسول ﷺ بعد أن ذكّره بمنزلته، تارة بقوله:

وصيت من كنيته بطالب ... عبد مناف وهو ذو تجارب
يا بـن الحبيب أكرم الأقارب ... يابأن الذي قـد غاب غير ائب[٤٦]
أوصيك يا عبد مناف بعـدي ... بموحّـد بعـد أبيـه فـرد[٤٧]

وتارة أخرى بعلوّ درجته وصعوبة كفالته قائلاً:

يا أبا طالب، انظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ولا ذاق شفقة أمّه. انظر يا أبا طالب أن يكون من جسدك بمنزلة

٤٥. مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٢٠.
٤٦. شعر أبي طالب، ص٨٩؛ مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣٤ ولكن باختلاف في هذه العبارة: (أئب).
٤٧. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣.

كبدك، فإنّي تركت بنيّ كلّهم وأوصيك به؛ لأنّك من أمّ أبيه. يا أبا طالب، إنْ أدركت أيّامه فاعلم أنّي كنت من أبصر الناس وأعلم الناس به، فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك؛ فإنّه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي. يا أبا طالب، ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه ولا أمه على حال أمّه. فاحفظ لوحدته هل قبلت وصيتي فيه؟ فقال: نعم، قبلت والله عليّ بذلك شهيد. فقال عبدالمطلب: فمدَّ يدك إليّ، فمدَّ يده إليه، فضرب يده على يده، ثمَّ قال عبدالمطلب: الآن خفّف عليَّ الموت.[٤٨]

تكشف لنا هذه الوصيّة العظيمة عن مدى معرفة عبدالمطلب بالرسول الأعظمﷺ وما سيؤول إليه في المستقبل وكذلك معرفته وفراسته بابنه أبي‌طالب لقبوله لهذه المهمّة العظيمة، وبالفعل نجد أنّ أبا طالب قد أدّى الوصيّة على أتمّ الوجوه في رعاية وحماية الرسول الأعظمﷺ وما تفسير هذه المواقف إلاّ بدافع العقيدة والمعرفة بالله وبرسوله، وإلاّ فإنّ دوافع العاطفة يكون عمرها قصيراً فيما إذا كانت سبباً يستلزم الأذى والمعاناة بجانبها.

ويعتبر ابوطالبعليه السلام أنّ حماية الرسول الأكرمﷺ هي من الواجبات المهمّة الملقاة على عاتقه، بل هي من صميم عقيدته بالتوحيد وهذا ما يظهر لنا منه عندما أجاب عبدالمطلب بقبول الوصيّة بقوله:

لا توصني بلازم وواجب　　إنّي سمعت أعجب العجائب
من كلّ حبر عالـــم وكاتب　　بأنّ بحـــــقّ الله قول الراهب[٤٩]

والحاصل: أنّنا نجد من خلال هذه الوصيّة وهذا الشعر، أنّهما عارفان بمكانة الرسول الأعظمﷺ كما نجد أنّ هذه المعرفة كانت نابعة عن التوحيد الخالص والعقيدة الفذّة عند عبدالمطلب وأبي طالب؛ لذلك نجد أبا طالب عندما قال له «بموحّد بعد أبيه فرد» لم يستغرب ولم يعترض على أبيه؛ لأنّه مؤمن بالتوحيد، ومؤمن بما سيؤول إليه يتيم عبدالمطلب.

٢/٣. استسقاء أبي‌طالب بالنبيﷺ

إنّ من الأدلّة الواضحة على عقيدة ومعرفة أبي‌طالبعليه السلام بالرسول الأعظمﷺ قبل البعثة، هي استسقاؤه بالنبيﷺ قبل بعثته. وما ذلك إلاّ لكونه عارفاً بما سيؤول إليه أمر النبيّ محمّدﷺ في المستقبل القريب، فقد أخرج ابن‌عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال:

٤٨. منية الراغب في إيمان أبي طالب، ص٥٤؛ كمال الدين وتمام النعمة، ص١٧٢.
٤٩. مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣٤؛ بحار الأنور، ج٣٥، ص٨٦.

قدمت مكّة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب! أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلمّ واستسق. فخرج ابوطالب ومعه غلام كأنّه شمس دجن تجلّت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة. فأخذه ابوطالب فألصق ظهره بالكعبة،ولاذ بأصبعه الغلام وما في السماء قزح[٥٠]، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا: وأغدق وأغدودق وأنفجر له الوادي وأخصب البادي والنادي[٥١] ففي ذلك يقول ابوطالب عليه السلام:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك مـــن آل هاشم فهـم عنده في نعمة وفواضل[٥٢]

ويمكننا أن نستخلص من الخبر المتقدّم عدّة أمور مهمّة:

الأمر الأول: معرفة قريش بتوحيد وعقيدة أبي‌طالب عليه السلام وإلاّ لما التجأوا إليه وطلبوا منه الاستسقاء والدعاء إلى ربّ السماء.

الأمر الثاني: يدلّ الخبر على معرفة وعقيدة أبي‌طالب عليه السلام بالرسول صلى الله عليه وآله والرسالة الخاتمة وقداسة صاحبها من أوّل يومه.

لذلك نجد أنّه لم يُحدِّث لنا التأريخ بأنّ أحداً من قومه اعترضهُ قبل الاستسقاء ولا بعده عندما توسّل بالرسول صلى الله عليه وآله في دعائه.

الأمر الثالث: هذا الموقف لايمكن أن يفسّر بالعاطفة، وإلاّ كان ابوطالب عليه السلام يعطف ويحبّ عقيلاً كثيراً والولد أقرب وأحبّ من ابن‌الأخ، ولكنّنا نجد أنّ أبا طالب عليه السلام قدّم الرسول دون عقيل، وما هذا الموقف إلاّ بدافع العقيدة الّتي يمتلكها ابوطالب عليه السلام، لا بالعاطفة.

٣/٣. خوف أبي‌طالب عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله

إنّ الخوف المستمرّ لأبي‌طالب عليه السلام على سلامة الرسول صلى الله عليه وآله من المصاديق الواضحة لمعرفة أبي‌طالب بالنبي صلى الله عليه وآله كما في هذا الخبر:

٥٠. القزح، أبزار القدر، وقدر مقزحة، قوس قزح، طريقة متقوّسة تبدو في السماء، أيام الربيع. (كتاب العين، ج٣، ص٣٨)
٥١. سُبل الهدى والرشاد، ج١، ص٨.
٥٢. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج٢، ص٤١٢.

إنّ رجلاً من لهب كان عائفاً، عارفاً، فإذا قدم مكّة أتتهُ رجال قريش بغلمانهم لينظر لهم وكان ابوطالب من بين الحاضرين وكان معه محمّدﷺ. فنظر العائف للرسولﷺ وكان لديه شغل، وما انتهى من شغله حتّى قال: عليّ بالغلام وما أن رأى ابوطالب ذلك، حرص على العائف عليه فأحسّ منه خيفة، فغيّبهُ حتّى لا تقع عليه تلك العينين النافذتي البصر، البعيدتي النظر، فصاح: ويلكم ردّوا عليّ الغلام الذي رأيته آنفاً، ولم يأبه ابوطالب لصياحة، فو الله ليكونن له شأن.[٥٣]

ولم تكن هذه بالجديدة على مسمع أبيطالبعليه السلام وإنّه لعليم بماهيّة الشأن وحقّيقة الاختيار والاصطفاء الإلهي للرسول الأعظمﷺ.

٤/٣. رعاية أبي‌طالب لرسول اللهﷺ

لقد قام ابوطالبعليه السلام برعاية الرسول الأكرمﷺ خير قيام وكان لا يفارقه ليلاً ونهاراً ويضطجع إلى جنبه لئلّا يصيبه مكروه. ولمّا عرف عداوة المشركين لابن أخيه، حرص على حراسته وأوصى بني هاشم به. ولمّا أراد ابوطالب الخروج إلى الشام للتجارة وتهيّأ للرحيل؛ تاركاً الرسولﷺ في الدار؛ خوفاً عليه من خطورة الطريق ومتاعبه، وإذا بالنبيﷺ أخذ بزمام ناقته وقال:

يا عمّ، إلى من تكلني لا أبّ لي ولا أُمَّ لي.

فرقّ له ابوطالب وقال:

والله لأخرجنَّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً.[٥٤]

فلمّا نزل في بصرى، وأخبره بحيراء الراهب بنبوته ومنزلته وما ورد في كتابهم فيه وأوصاه بالتحفّظ عليه من اليهود، فقال ابوطالبعليه السلام في ذلك:

إنَّ ابن‌آمنة النبيّ محمّداً ... عندي يفوق منازل الأولادِ
لمّا تعلّق بالزمام رحمته ... والعيس قد قلصن بالأزوادِ
فارفضَّ من عينيّ دمعٌ ذارفٌ ... مثل الجمان مفرّق الأفرادِ
راعيت فيه قرابةً موصولةً ... وحفظت فيه وصيته الأجدادِ

٥٣. السيرة النبويّة، ج١، ص١٩٠؛ السيرة االنبويّة لابن كثير، ج١، ص٢٤٣.
٥٤. تاريخ دمشق، ج٣، ص١٠.

وامرته بالسير بين عمومةٍ بيض الوجوه مصالت أنجادِ
ساروا لأبعد طيّةٍ معلومةٍ فلقد تباعد طيّةُ المرتادِ
حتّى إذاما القوم بصرى عاينوا لاقوا على شركٍ من المرصادِ
صبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً عنه وردَّ معاشر الحسّادِ
قوم يهود قد رأوا لمّا رأى ظلَّ الغمام وعنَّ ذي الأكبادِ
ثاروا لقتل محمّد فنهاهم عنه وجاهد أحسن التجهادِ
فثنى زبيراً من بحيرا فأثنى في القوم بعد تجاول وبعادِ
فنهى دريساً فانتهى عـن قوله حبر يوافق أمــره برشـــاد

فنجد شعره وكلامه معرباً عن منزله الرسولﷺ في قبله وأنّ الدافع لحمايته هو دافع العقيدة لا العاطفة، بدليل قوله:

إنّ ابن آمنة النبيّ محمّداً عندي يفوق منازل الأولادِ

٤. موقف أبي‌طالب من معجزات النبيﷺ وكراماته

قال القاضي اليحصبي في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى يُنقل أنّه:

> كان مع عمّه أبي‌طالب بذي المجاز،[٥٥] إذ عطش ابوطالب وليس عنده ماء يروي عطشه. فذكر لابن أخيه ما ألمّ به من العطش، فما كان منه إلا أن وكل صخرة برجله، فإذا بالماء يتدفّق، فلم يَر مثله ابوطالب، فشرب وروي حتّى أطفأ غليله وعاد فركلها مرّة أخرى لتعود سيرتها الأولى.[٥٦]

فلم يتعجب ابوطالبعليه السلام من هذه الكرامة؛ لأنّه كان مؤمناً بالنبيﷺ وبكلّ ما يصدر منه.

١/٤. تبرك أبي‌طالبعليه السلام بالنبيﷺ

لقد شاهد ابوطالبعليه السلام ظاهرةً بارزةً، تتّضح بالدليل الصارخ، منذ أن أنحاز الرسولﷺ إلى عائلته، بعد وفاة عبدالمطلب من البركة في الطعام، متى ضمنت المائدة الرسول الكريم، ومع قلّة الطعام وكثرة العيال، تراهم يصدّون عنها وهم من الشبع على اكتناز، وفي الطعام فضله. كما ينقل صاحب السيرة النبويّة لإبن كثير بقوله:

---

٥٥. موضع على فرسخ من عرفة، كان سوقاً للجاهلية.

٥٦. الشفا بتعريف حقّوق المصطفى، ج١، ص٢٩٠؛ سبل الهدى والرشاد، ج٢، ص١٣٧؛ الطبقات الكبرى، ج١، ص١٥٢؛ تاريخ دمشق، ج٦٦، ص٣٠٨.

فكان ابوطالب يقول لهم إذا حضر وقت الطعام، ولم يجد ابن أخيه: كما أنتم حتّى يحضر ابني، فيأتي رسول اللهﷺ فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول ابوطالب: إنّك لمبارك.

وينقل كذلك:

وكان الصبيان يصبحون رمضاً شعثاً ويصبح رسول، دهيناً كحيلاً.[٥٧]

فكلّ هذه دلالات واضحة على عقيدة أبي‌طالب عليه السلام بالنبيﷺ وما سيؤول إليه، فكلمته: إنّك (لمبارك) يعني أنت مؤيّد من قبل السماء و هذا ما يعنيه ابوطالب عليه السلام منها.

٢/٤. اعتقاد أبي‌طالب عليه السلام بالنبيﷺ ومكانته

إنّ مكانة الرسولﷺ عند أبي‌طالب عليه السلام، نشأت من أول يوم لولادة الرسولﷺ وهو يرى بأمّ عينيه تلك الرعاية الإلهيّة له من قبل السماء كما في هذا الخبر، قال هشام بن محمّد:

خرج ابوطالب عليه السلام برسول اللهﷺ إلى بصرى من أرض الشام، وهو ابن‌تسع سنين، حدثني العباس بن محمّد، قال: حدّثنا ابونوح قال: حدّثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي‌بكر بن أبي موسى، قال: خرج ابوطالب إلى الشام وخرج معه رسول، في أشياخ في قريش، فلمّا أشرفوا على الراهب هبطوا فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت. قال: فهم يحلّون رحالهم فجعل يتخلّلهم حتّى جاء فأخذ بيد رسول، فقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ قريش: ما علّمك؟ قال: إنّكم حين أشرفتم من العقبة لم تبق شجرة ولا حجر إلاّ خرَّ ساجداً،ولا يسجدون إلاّ لنبي وإنّي أعَرفه بخاتم النبوّة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة. ثمَّ رجع فصنع لهم طعاماً فلمّا أتاهم به كان هو في رعية الإبل. قال: أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة. فقال: انظروا إليه عليه غمامة تظلّه. فلمّا دنا في القوم وجدهم

٥٧. السيرة النبويّة لابن كثير، ج١، ص٢٤٣.

قد سبقوه إلى فيء الشجرة. فلمّا جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: فبينما هو قائم عليهم وهو يُناشدهم ألّا يذهبوا به إلى الروم، فإنّ الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه. فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم قالوا: جئنا إنّ هذا النبيّ خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلاّ بعث إليها ناس وإنّا أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا. قال لهم: هل خلفتم خلفكم أحداً هو خير منكم، قالوا لا؟ إنّما اخترنا خيرة لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس ردّه؟ قالوا: لا فتابعوه وأقاموا معه، قال فأتاهم فقال أنشدكم الله أيّكم وليّه قالوا: ابوطالب، فلم يزل يناشده حتّى ردّه.[58]

وفي خبر آخر:

فلمّا رآه بحيرى جعل يلحظ لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتّى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام إليه بحيرى، وقال له: يا غلام، أسألك بحقّ اللّات والعزّى ألا أخبرتني عمّا أسألك عنه، وإنّما قال له بحيرى ذلك؛ لأنّه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أنّ رسول اللهﷺ قال له: لا تسألني باللّات والعزّى شيئاً في الله، ما أبغضت شيئاً قطّ كبغضهما. فقال له بحيرى: فبالله إلاّ ما أخبرتني عما أسألك عنه؟ فقال له: سلني عمّا بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء على حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول اللهﷺ يخبره، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثمَّ نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته الّتي عنده. فلمّا فرغ أقبل على عمّه أبيطالب فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال ابني. قال بحيرى: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً. قال: صدقت. فقال: ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينّه شراً، فإنّه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم. فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه ابوطالب سريعاً حتّى أقدمه مكّة حين فرغ من تجارته بالشام.[59]

---

۵۸. تاريخ الطبري، ج۲، ص۳۲ـ۳٤.

۵۹. السيرة النبويّة لابن كثير، ج۲، ص۳٤٦.

فكان ابوطالب عليه السلام يسمع الكثير من أبيه عبدالمطلب بشأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وما سيؤول إليه.

وطالما يقول عبدالمطلب لبنيه:

دعوا ابني فو الله إن له لشأن.

ومرّة أخرى يقول إذا جلس الرسول على فراش جدّه عبدالمطلب الذي لا يجلس عليه أولاده:

دعوا ابني إنّه يؤسّس مُلكاً.

وكان ابوطالب عليه السلام على مرأى ومسمع عندما قال قوم من بني مدلج لعبد المطلب:

احتفظ به، فإنّا لم نرَ قدماً أشبه بالقدم الذي في المقام منه.

ثمَّ يلتفت عبدالمطلب بعدما سمع إلى ابنه أبي‌طالب الموحّد المخلص في توحيده:

اسمع ما يقول هؤلاء، فكان ابوطالب يحتفظ به.[٦٠]

وكذلك قال عبدالمطلب لأمّ أيمن ـ وكانت تحضنه صلى الله عليه وآله ـ :

يا بركة لا تغفلي عن ابني. فإنّي وجدته مع غلمان قريب من السدرة، وأنّ أهل الكتاب يزعمون أنّ ابني نبيّ هذه الأمة.[٦١]

فكان عبدالمطلب وأبو طالب عليه السلام معتقدين بنبوّة الرسول صلى الله عليه وآله فإن ثبت هذا فإنّ توحيدهم بالله تعالى قبل البعثة الشريفة، كان من باب أولى. فنجد الرعاية الّتي لا مثيل لها، والحماية العالية من قبل عبدالمطلب ومن بعده أبي‌طالب عليه السلام، لرسول الإسلام عليه السلام. فلم تكن هذه الرعاية والحماية، إلاّ عن عقيدة عبدالمطلب وأبي‌طالب بالرسول الأعظم عليه السلام.

فيا عجباً للتعصّب الأعمى وللمواقف، الّتي لا دليل لها لابن كثير في سيرته، فحيث يذكر المواقف الفذّة من قبل شيبة الحمد (عبد المطلب) وشيخ البطحاء (أبو طالب عليه السلام) والّتي تعرب عن إيمانهم بالتوحيد والنبوّة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ثمّ يذهب هو وغيره من الكُتّاب إلى أنّهم ماتوا غير مسلمين. ولكن صدق الله تعالى في كتابه العزيز حيث يقول:

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.[٦٢]

٦٠. السيرة النبويّة لابن كثير، ج١، ص٢٤٠.

٦١. السيرة النبويّة لابن كثير، ج١، ص٢٤٠.

٦٢. التوبة، ٣٢.

الخلاصة

وبعد هذه الإطلالة على واقع عقيدة أبي‌طالب‌عليه‌السلام ومواقفه تجاه النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله العملية منها والكلاميّة قبل البعثة الشريفة، نصل إلى نتيجة هي: إنّ تلك المواقف إنّما كانت نابعة من عقيدة لا عاطفة، بل هي متأصّلة في العقيدة، كما ظهر لنا جليّاً من نوع وقفاته وكلامه تجاه نبيّ الرحمة، رغم ما كان يعانيه بسبب ذلك الدعم والإسناد والحماية.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ابوطالب‌عليه‌السلام حامي الرسول وناصره، العسكري، نجم‌الدين، العراق، النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٣٨٠ق.

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبدالرزاق المرتضى، طبعة الكويت، لبنان، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ق.

٤. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، الطبري، محمّد بن جرير بن يزيد، المحقق: ابوصهيب الكرمي، السعودية / الأردن: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩م.

٥. تاريخ الطبري تاريخ الرسل و الملوك، الطبري، محمّد بن جرير بن يزيد، المحقق: محمّد ابوالفضل إبراهيم، مصر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م.

٦. تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي‌يعقوب، اليعقوبي، العراق، النجف الاشرف: مطبعة الغري، ٢٠١٦م.

٧. التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، الشيخ محمّد بن الحسن، لبنان، بيروت: احياء التراث العربي،١٢٠٩ق.

٨. الثقات، ابن‌حبان، محمّد، الهند، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ق.

٩. دلائل الامامة، الطبري الشيعي، محمّد بن جرير بن رستم، العراق، النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية، ٢٠٢٠م.

١٠. ديوان أبي‌طالب بن عبدالمطلب، صنعة ابوهفان المهزمي، لبنان، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٣م.

١١. سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه و سلم، الشامي، محمّد بن يوسف الصالحي، المحقق: مصطفى عبدالواحد – وآخرون، مصر، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،١٤١٨ق.

١٢. السيرة النبوية، ابوالفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، لبنان: بيروت: دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، ١٣٩٥ق.

١٣. السيرة النبوية، الحميري المعافري، عبدالملك بن هشام بن أيوب، المحقق: عمر عبدالسلام تدمري، لبنان، بيروت: دار الكتاب العربي، دار الكتاب العربي.
١٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عز الدين عبدالحميد بن هبة الله، ايران، قم: مكتبة آية الله مرعشي النجفي، ١٤٠٤ق.
١٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفي، اليحصبي، ابي الفضل عياض بن موسي، سوريا، دمشق، دار الفيحاء، ٢٠١٨م.
١٦. الطبقات الكبير (الطبقات الكبرى)، الزهري، محمّد بن سعد بن منيع، المحقق: علي محمّد عمر، مصر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١ق.
١٧. عوالي اللئالي العزيزية في الاحاديث الدينية، الاحسائي، ابن ابي جمهور محمّد بن علي بن ابراهيم، التحقيق: الآغا مجتبى العراقي، ايران، قم: انتشارات سيد الشهداء، ١٤٠٣ق.
١٨. العين، الفراهيدي، الخليل بن احمد، لبنان، جبل: دار و مكتبة الهلال، ٢٠٠٧م.
١٩. الغدير، الاميني، عبدالحسين احمد، ايران، طهران: دار الكتب الإسلامية، ٢٠٢٠م.
٢٠. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر ابوالفضل، لبنان، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ق
٢١. القاموس المحيط، الفيروز آبادى، مجد الدين ابوطاهر محمّد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمّد نعيم العرقسُوسي، لبنان، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، ١٤٢٦ق.
٢٢. كمال الدين و تمام النعمة، الصدوق، محمّد بن علي ابن بابويه القمي، التحقيق: على اكبر غفارى، ايران، قم: دار الكتب الاسلامية، ١٣٩٥ش.
٢٣. لسان العرب، ابن منظور، محمّد بن مكرم بن على، ابوالفضل، جمال الدين، لبنان، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ ق.
٢٤. المجلسي، محمّد باقر، بحارالانوار الجامعه لدرر اخبار الائمه الاطهار عليهم السلام، لبنان، بيروت: دار احياء التراث العربي ١٤٠٤ق.
٢٥. مجمع الامثال، النيسابوري، ابوالفضل أحمد بن محمّد بن أحمد ابراهيم، لبنان، بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٥٥م.
٢٦. مجمع البحرين، طريحى، فخرالدين بن محمّدعلى، ايران، طهران: مكتبة المرتضوية، ١٣٧٥ش.
٢٧. مجمع الزوائد و منبع الفوائد، الهيثمي، ابوالحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، المحقق: حسام الدين القدسي ، مصر، القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤ق.

۲۸. مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي، على النمازي، ايران، قم: النشر الاسلامي، ١٤١٨ق.
۲۹. المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ابوعبد الله الحاكم محمّد بن عبدالله بن محمّد بن حمدويه بن نُعيم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ق.
۳۰. معجم البلدان، الحموي، شهاب الدين ابوعبد الله ياقوت بن عبدالله، لبنان، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.
۳۱. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مصر، القاهرة: دار النشر مكتبة ابن‌تيمية، ١٤١٥ق.
۳۲. مناقب آل ابى‌طالب، ابن‌شهرآشوب، محمّد بن على، العراق، النجف الاشرف: المكتبة الحيدرية، ١٣٧٦ق.
۳۳. منية الراغب في إيمان أبي‌طالب، الطبسي، محمّد رضا، لبنان، بيروت: دار الولاء للطباعة و النشر و التوزيع، ٢٠٠٤م.
۳٤. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، العلامة السيد محمّد حسين، لبنان، بيروت: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧م.
۳۵. النهاية في غريب الحديث، ابن‌الاثير، المبارك بن محمّد الجزري، المحقق: علي بن حسن بن‌علي بن عبدالحميد الحلبي، السعودية: دار ابن‌الجوزي، الدمام ١٤٢١ق.
۳٦. ينابيع المودة، قندوزي، سليمان بن إبراهيم، العراق، بغداد: دار الكتب العراقية، ٢٠١٦م.